الفصل الثاني

فضائل القرآن

القرآن العظيم هو كلام ربنا، وبه تقوم معالم الدين وتثبت دعائمه، فهو أصل الإسلام وأساسه، هو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، آيات بينات، أحكم الحكم وأبلغ العظات، هو أعظم برهان، وأبين فرقان، وأقوم بيان، شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، بحرٌ لا يدرك غوره، كلام ليس في كلام الخلق مثله، بهرت بلاغته القلوب والعقول وفاقت فصاحته كل مقول، ومعجزة فوق معجزة كل رسول، قصصه باهرة، أمثاله سائرة، مواعظة جليلة نادرة، معانيه لآلئ ودرر فاخرة، ومهما تكلم فصيح أو تحدث بليغ، فلن يوفي القرآن حقه، ولن يستطيع إلى ذلك سبيلًا فهو الكلام الرباني والبيان الإلهي، المحفوظ المعصوم.

هـذا وكـم فيـه مـن مـزايـا ... وفـي زوايـاه مـن خـبـايـا

ويطمع الحبر في التقاضي ... فيكشفُ الخبر عن قضايا

القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكره، كل قارئ له، متدبر لمعانيه يرتع في رياض ناضرة، ويتأنَّق في حدائق مبهرة، فهذه عظة تشفي القلوب، وتلك بلاغة تفوق كل أسلوب، وذلكم قصص يثبت على الإيمان، وتلكم حجة تسقط كل زيغ وطغيان، تلاوته نعيم عاجل، ومتعةٌ أندى لكل عالم فاضل، ولذة يدركها ذو الذوق الكامل فهو:

يزيد على طول التأمل بهجةً ... وألـذ فـي الأجـفـان مـن سنة الكرى

وكذلك هو :

يزيد على طول التأمل بهجة كأن العيون الناظرات صياقلُ

وإلى بيان شيء من فضائله لعل قلوبنا تسارع إلى تلاوته وتدبره، ولعل نفوسنا تصدق في الاهتداء به، لعلنا نعرف قدره، فلا نكون ممن هجره، لعلنا نعرف مكانته ومنزلته فتشرق حياتنا بنوره، وتتلألأ معيشتنا بضيائه وتزكو نفوسنا بعظاته، وتنمحي جهالتنا ببيناته.

تعالوا ندل قومنا على عظمة كلام ربنا. ونخبر المحرومين الذين انشغلوا بالدنيا عن الدين وصاروا في خبث الغناء غارقين، وإلى سفاهته وسخافته باتوا مستمعين، وصار الفارغون التافهون، الفاسقون الفاجرون من المغنين والمغنيات، والمطربين والمطربات صاروا هم القدوة والأسوة لكثير من شبابنا التائه الحائر المسكين، تعالوا نطلعهم على صبح الهدى، ومنبع التقى، وسبيل السعادة، ولذة الحياة وبهجة النفوس والقلوب.

تعالوا ندلّهم على الحق بحق، وحقيق بك يا من اطلعت على هذا الكلام أن تنشره وتخبر بفضل كلام الله جل جلاله، وجديرٌ بك أن تقبل أنت أولًا على كلام الله تتلوه وتتدبره وتستشفي به، وتتحاكم إليه لتكون أنت للناس نعم القدوة ولتكون دالًّا لهم بعملك قبل قولك، فيعرف بذلك صدقك وإلى مناقب القرآن العظيمة، وفضائله الكريمة فخذها بحب وابذلها بحب خذها بقوة وابذلها بقوة.

أولًا ـ القرآن الكريم حياة القلوب والأرواح:

كما أن الأبدان لا تحيا بغير روح فكذلك القلوب لا تحيا بغير القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ [الشورى: ٥٢]، يقول الشيخ السعدي: وهو هذا القرآن الكريم

سمَّاه روحًا، لأن لروح يحيا بها الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح وتحيا به مصالح الدنيا والدين لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير، وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين من غير سبب منهم»[(١)].

هَـذى يـنـابـيـعُ الـكِـتـاب تَـدفَّـقَـتْ ... تَـجْـري بـنـورٍ فـي الـحـيـاةِ جَديدِ
يـا ريـشـةَ الـقـلـمِ الأَصـيـل تدفّقي ... نـهـرًا مـن الشِّـعـر الأَصـيـل وَزِيـدي
قـولـي مـعـي لـلـقـارئ الَـفـذِّ الـذي ... يـتـلـو فـيـشـعـرنـي بـعـزٍّ وُجُـودي
يـتـلـو فـيـفـتـح ألـف بـابٍ للتقى ... ويـفـك عـن نـفـسـى أشـد قيودي
يـا قـارئ الـقـرآن دَاوِ قلوبنا ... بـتـلاوةٍ تَـزْدَانُ بـالـتـجـويـدِ
اقـرأْ فأَمتُنا ترقّعُ ثوبها بالوهن ... تَـخْـفِـضُ رأْسـهـا لِـيَـهُـودي
اقـرأْ فَـأُمَّـتُـنَـا تـعـيشُ على الرِّبا ... تَنْسى عِـقَـابَ الْـخَـالـقِ المعبودِ
اقـرأْ لِـينْـجَـلِـيَ الـظَّـلامُ عن الرُّبا ... ويـسـمـعُ الـغـافـي زَوَاجَـرَ هُـودِ
اقـرأْ لِـينْـجَـلِـيَ الـقَـسَـامُ عن الذي ... أَمْـسـى أَسـيـرَ تَـخَـاذُلٍ وَصُـدُودِ
اقـرأْ لِـيـرْجـعَ من بني الإسلام مَنْ ... أَصْـغَـى مَـسَـامِـعَـه إلـى التُّلمُودِ
اقـرأْ لَـعَّـل الله يُـوقِـظُ غـافـلاً مِنْ ... قَـوْمِـنَـا ويُـلـيـنُ قـلـبَ عَـنـيـدِ
اقـرأْ لـيـرجـعَ ظَـالـمٌ عَـنْ ظَلْمِهِ ... وَيُـقـرَّ بـالإيـمـان كُـلُّ جَـحـودِ
اقـرأْ لـيـسْـقُـطَ مِـطْـربٌ مُتَرنِّحٌ ... قَـتَـلَ الْـحَـيَـاءَ عَـلَـى رَنِـيـنِ الْعودِ
ذَبَـحُـوا مـشـاعَـرنـا بـكـل قصيدةٍ ... مَـسْـكـونـةٍ بِـخَـيـال كُـلِّ بليدِ
إبـلـيـسُ بَـارَكَـهُـمْ وَسَـارَ أَمَامَهُمْ ... مـتـبـاهـيًـا بـلـوائِـهِ الـمَـعْـقُـودِ
اقـرأْ لـيـهـدأَ قـلـبُ كـلِّ مُـروّعٍ ... مِـنْ قـومِـنَـا وفـؤادُ كُـلِّ شَريدِ
اقـرأْ ليسمع كُـلِّ مَـنْ فـي سَمْعِهِ ... وقـرٌ مِـنَ الأَقـصـى إلـى مَـدْريـدِ
اقـرأْ لتفهم أُمَّـتـي معنى الهُدى ... مَـعْـنـى بـذوغِ مَـقَـامِـهـا الْمَحْمُودِ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص[٩٠٣] ط: دار ابن الجوزي.

أيها الإخوة، القرآن روح القلوب وحياتها وعلى قدر رؤية القلب لمعاني القرآن وفهمه لآياته تكون حياته وتكون سعادته، وتكون حكمته ووعيه وبصيرته وعلمه، والقلب المطرود عن القرآن المصدود عن فهمه وتدبره قلب ميت فارغٌ خاوٍ، غليظ قاس عافانا الله وإياكم ولله در من قال:

وكيف يعيش في البستان غرسٌ إذا ما عُطِّلَتْ عنه السواقي

ثانيًا- القرآن سبيل الخروج من الظلمات إلى النور:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

القرآن يخرج الخلق كافة من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، من ظلمات الجهل إلى نور العلم والحكمة، من ظلمات الحيرة والشك إلى نور اليقين والهداية، من ظلمات المعاصي والآثام إلى نور الطاعة والاستقامة، من ظلمات الغفلة والتيه إلى نور اليقظة والاعتبار، من ظلمات الأخلاق السيئة إلى نور الأخلاق الطيبة القويمة، القرآن يخرجك من كل ظلمة قاتمة إلى كل نور ساطع، وفجر صادق.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ أي هذا كتابٌ أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه في الأرض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغيِّ إلى الهدى والرشد»[(١)].

فانظر إلى هذه الأجيال المتتابعة والقرون المتطاولة والخلق الكثير الذين هداهم الله بالقرآن وأخرجهم بنور بيناته من ظلمات طالما عاشوا فيها إلى نـور الحق والهدى.

(١) «المصباح المنير» ص[٦٩٤].

obeikandi.com

وإلى من أسرته المعاصي واستحكمت منه الشهوات نقول: أقبل إلى القرآن وأكثر من تلاوته، وأَدْمِنْ قراءته، وأَدِمْ النظر في المصحف وكن واثقًا تمام الثقة أن القرآن سيفك عنك الأغلال والآصار، وسوف يزيل عنك الإصرار، ويمحو عنك ذل الأوزار، سوف يستلُّ القرآن من نفسك ظلماتها ليشرق الإيمان فيها بإذن ربها.

القرآن سبيلك لتتخلص من ذنب أنت مقيم عليه مصرٌّ على فعله لا تستطيع الفكاك منه فهذا هو القرآن سوف يطرد عنك كل سوء لكن اقرأ ورتل بتدبر وفهم واثبت واستقم وأدم القراءة وسوف تجد كل ما تطلب وأكثر مما تريد ولا أقول جرب وإنما أقول أقبل بكل يقين، واستعن بالله يعنك وتوكل عليه يكفك.

ثالثًا- سبيل العزة والشرف:

إذا أردت العزة والشرف والمجد والسؤدد، فهذا هو القرآن يوصلك ويؤهلك إلى أعلى المقامات، ويرفع الأمة كلها إذا تحاكمت إليه وصار هو منهاجها ومرجعها الوحيد يرفعها القرآن ويؤدي بها إلى السيادة والريادة، والعز والتمكين كما قال الله رب العالمين في كتابه المبين: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي فيه شرفكم وعزكم ومجدكم على قول لأهل العلم و قَالَ تَعَالَىٰ لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي: شرف لك ولقومك على قول لفريق من أهل العلم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، قال الحافظ ابن كثير: وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وإسماعيل بن أبي خالد وابن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدي: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ ذي الشرف أي ذي الشأن والمكانة»[(١)].

ومما يدلك على أن القرآنُ يشرِّف صاحبه ويرفعه وُيعْليه ويكرمه ما رواه مسلم عن عامر بن واثلة أن نافع بن الحارث لقي عمر بعسفان وكان يستعمله على مكة فقال:

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٣٧).

من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»[1]، فالسيادة والشرف والسمو مرهون بهذا القرآن العظيم من وقره وحفظه حفظه الله، ورفع مقامه وأعلاه، ومن ضيعه وأهمله خذل وذل نعوذ بالله من الخذلان.

قال ابن الصلاح في «مقدمته»: روينا عن الزهري قال: قدمت على عبد الملك ابن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة. قال: فمن خلفت بها يسود أهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال:وبم سادهم؟ قال: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يسود من أهل اليمن؟ قال: قلت: طاووس بن كيسان. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: وبم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء قال: إنه لينبغي، فمن يسود أهل مصر؟ قال: قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قال: قلت: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مزاحم. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن بن أبي الحسن. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب. قال:

(١) رواه مسلم برقم [٨١٧].

ويلك يا زهري، فرجت عني والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلت: يا أمير المؤمنين إذًا هو أمر الله ودينه من حفظه ساده ومن ضيعه سقط(١).

نقول لمن أراد علو المكانة ورفعة المنزلة وعظمة الشأن عليك بهذا القرآن فعلى قدر أخذك به وإجلالك له يكون قدرك بين الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة، والأمة كلها لن تخرج مما هي فيه من ذل وتبعية إلا إذا حكمت القرآن وتحاكمت إليه وجعلته هو الأصل والأساس فإنه لا يصلح الناس إلا كلام ربهم العليم بأحوالهم الخبير بطبائعهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

القرآن ليس ترانيم كهونيتة، ولا أناشيد تردد في المناسبات الرسمية كلا فالقرآن ما أنزله الله إلا ليصوغ به النفوس ويربي به الضمائر والأخلاق ويطهر به القلوب والعقول من الانحراف والعبودية لغير الله جل جلاله.

ما نزل القرآن إلا ليحكم سلوك الفرد والجماعة، ويكون هو الحكم العدل في الدماء والأعراض والأموال، ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

[المائدة: ٤٩-٥٠]

ألا فلتعي أمتنا أنها لن تصل إلى التمكين والعزة إلا بالقرآن ومهما حاولت لتخرج من وهدتها، فلن تفلح ولن تصل إلى ما تريد أبدًا إلا بالقرآن.

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٧/ ٤١١) طـ: التوفيقية قلت: وقد ورد عند مسلم أن النبي قال: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» حديث رقم [٢٦٩٩]. فالأنساب والألقاب لا ترفع صاحبها إنما يرفعه علمه وعمله وتقواه وأدابه، فاللهم ارزقنا من الأعمال الصالحة ما ترفعنا به في الدنيا والآخرة.

obeikandl.com

رابعًا- بالقرآن يزداد الإيمان:

الإيمان قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص، يزيد الإيمان بطاعة الرحمن، وينقص بالسيئات والعصيان، ومن أهم الأسباب وأنجع الوسائل لزيادة الإيمان تلاوة القرآن بتدبر وفهم قال الله جلال جلاله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢] بالقرآن يزداد حبك لله، بالقرآن تزداد خشيتك لله، ويزداد يقينك، ويزداد توكلك، ويزداد إخلاصك ويزداد صدقك، ويزداد حياؤك، ويزداد خشوعك، يزداد إيمانك كله كلما تلوت وتدبرت كلام ربك جل جلاله.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد أيمانهم لأن التدبر من أعمال القلوب ولأنه لابد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه ويتذكرون ما كانوا نسوه أو بعدت في قلوبهم رغبة في الخير واشتياقًا إلى كرامة ربهم أو وجلًا من العقوبات وازدجارًا عن المعاصي وكل هذا مما يزداد به الإيمان»[(١)].

وقال ربنا جل وعلا: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وكذلك في القرآن ثبات على الإيمان ففيه من قصص السابقين من الصالحين ما يبعث في النفس التأسي وفيه طمأنينة للنفس وبشارة بقرب الفرج وحصول النصر والدعوة إلى الصبر وفيه إظهار لعاقبة المجرمين وبيان أن العاقبة دائمًا للمتقين قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص(٣٤٦-٣٤٧).

وقال الله جل جلاله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢]، ففي القرآن زيادة للإيمان وثبات للقلوب عليه، فإذا عرف المرء دواءه ما هي ينبغي أن يقصر فيه لحظة أو أن يتلفت عنه برهة.

خامسًا- في القرآن زيادة زكاة النفوس ورقة القلوب:

من أراد زكاة نفسه وتطهيرها، ورقة قلبه وخشوعه وامتلاءه بخشية الله عَزَّ وَجَلَّ فالقرآن أعظم سبيل لتحقيق كل ذلك قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة: ٢]، لقد كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه هي المدرسة الأولى التي تلقت فيها الثلة السابقة إلى الإسلام والتي سوف تكون قاعدة الانطلاق لفتح القلوب والبلاد تلقت فيها هذه الفئة المباركة أخلص النصائح وأصفى التربية حيث رباها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن وتزكية النفس بالعبادة لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولازال منهج التزكية بالقرآن والعبادة دائمًا باقيًا إلى يوم القيامة، وأبرك الدعوات ما كانت بالقرآن وأنجح الدعوات وأرسخها وأبقاها ما كانت بالقرآن فهو السبيل الأعظم والطريق الأقوم الذي يزكي النفوس ويطهرها ويربيها ويستل منها جاهليتها وأدواءها وأمراضها

الله أكبر إن دين محمد ... وكتابه أهدى وأقوم قيلا
لا تذكروا الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فأطفئ القنديلا

ووالله ثم والله لو فقه الدعاة ما يصطنعه القرآن في النفوس والقلوب لكان تعليمه الناس وتربيتهم على أحكامه وأوامره وآدابه خير من كل النصائح والوصايا وكلما كانت كلمات العالم والداعية معضدة مؤيدة بكلمات الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كانت مباركة مقبولة نافعة مؤثرة فاقرأ القرآن يا عبد الله وأدم قراءته تزكو نفسك وتطهر، وعلى قدر إقبالك عليه تكون زكاة نفسك وطهارة قلبك، فالقرآن خير لك وأنفع لك من كل

كتاب، دع ما كتب الخلق فهم ناقصون عاجزون، وانهل من كلام ربك ففيه المواعظ والهدى، فيه الطمأنينة والسكينة، فيه العلم والحكمة، فيه الرحمة والإيمان.

وفي القرآن رقة القلوب وخشوع الجوارح قال الله الملك الحق العلي الأعلى جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الزمر: ٢٣].

فالقرآن العظيم هو أحسن الحديث تخشع عند تلاوته القلوب وتقشعر الجلود، ألفاظه أفصح وأوضح الألفاظ، ومعانيه أجل وأعلى وأنبل المعاني كيف لا وهو كلام الله رب العالمين؟!

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ يعني به القرآن يقول: يشبه بعضه بعضًا لا اختلاف فيه ولا تضاد وقوله: ﴿مَّثَانِيَ﴾ أي تثني فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحُجج ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: تقشعر من سماعه إذا تلي عليهم جلود الذين يخافون ربهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعني إلى العمل بما في كتاب الله والتصديق به ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يقول: يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده. وقد يتوجه معنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى﴾ إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن فيكون معنى الكلام هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء ويوفق للإيمان به من يشاء.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه فيضله عنه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ يقول: فما له من موفق له ومسدد يسدده في اتباعه[1].

(١) «تفسير الطبري» بتصرف واختصار (١٠/ ٦٢٨-٦٢٩) ط: دار الكتب العلمية.

وفي «تفسير الماوردي» قال: ﴿نَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها. أنها تقشعر من وعيده وتلين من وعده قاله السدي.

الثاني. أنها تقشعر من الخوف وتلين من الرجاء قاله ابن عيسى.

الثالث. تقشعر الجلود لإعظامه تلين عند تلاوته[(١)].

قلت: ولهذا وصف الله الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم ربهم واجتباهم ليكونوا هم القدوة والأسوة للخلق كافة، وصفهم ربهم جل وعلا بهذا الوصف الكريم الرقيق الذي يتحلى به كل صادق وجل وكل مؤمن تواب قال الله جل جلاله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، أي: كانوا إذا سمعوا آيات الله بكوا وسجدوا[(٢)].

وحقيق بأنبياء الله ورسله أن يكونوا كذلك لا سيما وهم أعلم الخلق بالله وأعرف الخلق بعظمته وجلاله وكبريائه وهم أطهر الخلق قلوبًا وأزكى العالمين نفوسًا وكلما عظم علم العبد بالله عظم خوفه منه وازدادت خشيته له، وكلما ازداد جهله واستحكمت غفلته كان جريئًا عاصيًا أثيمًا ولهذا وصف ربنا العليم الحكيم في كتابه الكريم أهل العلم في الأمم السابقة بخشوعهم وخشيتهم إذا تليت عليهم آيات القرآن.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

---

(١) «تفسير الماوردي» (٢/ ١٢٢-١٢٣) ط: دار الكتب العلمية.

(٢) «زبدة التفسير» للأشقر ص[٤٠٢] ط: وزارة الأوقاف بالكويت.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قل لمن كذب به (القرآن) وأعرض عنه ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟﴾ فليس لله حاجة فيكم ولستم بضاريه شيئًا وإنما ضرر ذلك عليكم فإن لله عبادًا غيركم وهم الذين آتاهم الله العلم النافع ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ أي يتأثرون به غاية التأثر ويخضعون له ويقولون: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ عما لا يليق بجلاله مما نسبه إليه المشركون ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ لا خلف فيه ولا شك ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي على وجوههم ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ وهؤلاء كالذين منَّ الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وغيرهم ممن أسلم في وقت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد ذلك»[(١)].

وهذا الخشوع عند تلاوة القرآن هو حال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو أكمل الأحوال وأحسن الهدى في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقرأ علي القرآن**» قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ قال: «**حسبك الآن**» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[(٢)].

وروى أبو داود والترمذي في «الشمائل» من حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء[(٣)].

---

(١) «تفسير السعدي» ص[٥٣٨] ط: دار ابن الجوزي.

(٢) رواه البخاري برقم [٤٥٨٢]، ومسلم برقم [٨٠٠].

(٣) رواه أبو داود [٩٠٤] والترمذي في «الشمائل» برقم [٣٠٧]. وصححه الألباني في صحيح أبي داواد برقم [٨٤٠]، و«صحيح الترغيب» برقم [٣٣٢٩].

سادسًا- تلاوة القرآن تجارة لا تبور:

إن من أربح التجارات، ومن سبل تحصيل أعظم الحسنات، والرُّقي إلى أعلى الدرجات، تلاوة القرآن وتدبر الآيات، قال رب الأرض والسماوات في محكم آياته البينات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فَاطِر: ٢٩-٣٠].

قال ابن الجوزي في «زاد الميسر»: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني قراء القرآن فأثنى عليهم بقراءة القرآن، وكان مطرف يقول: هذه آية القراء وفي قوله: ﴿يَتۡلُونَ﴾ قولان: أحدهما- يقرؤون والثاني يتبعون.

قال أبو عبيدة: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بمعنى يقيمون وهو إدامتها لمواقيتها وحدودها.

قوله: ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ قال المفسرون: والمعنى يرجون بفعلهم هذا تجارة لن تفسد ولن تهلك ولن تكسد ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ قال ابن عباس: سوى الثواب ما لم ترعين ولم تسمع أذن[1].

ومما يدلك على عظمة الأجر والثواب المترتب على تلاوة آيات الكتاب ما قاله سيد الخلق رسول الله محمد ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف**»[2].

---

(١) «زاد المسير» (٦/ ٢٦٣) ط: دار الكتب العلمية.

(٢) رواه الترمذي [٢٩١٠] وصححه الألباني في «المشكاة» [٢١٣٧].

بالله أخي تأمل! بالله تدبر كيف أن قراءة حرف واحد يثاب عليها المرء بعشر حسنات!! ﴿ الٓمٓ ﴾ بثلاثين! فيا خيبة البطالين!! ويا حسرة المحرومين!! ويا بؤس ويا لخسارة المصروفين المصدودين عن تلاوة وتدبر كلام رب العالمين! إن كل يوم يمر عليك لم تقرأ فيه القرآن فهو خسارة حقيقة، وتثاقل ونكوص إلى الدنيا الدنية، ما الذي يمنعك عن القرآن؟! ماذا يشغلك عن كلام ربك؟! ما الذي يحجزك ويصدك عنه؟! ما الذي يصرفك ويصدفك؟! إن المؤمن الصادق له من كتاب الله كل يوم زاد وذكرى، له في حياته مع القرآن كل يوم أوراد ووقفات وتأملات وعظات فبه حياة قلبه، وفيه سعادة روحه، وبه بركة الأعمار والأعمال، أذكر أني سمعت أحد العلماء الأكابر يثني على صاحب مصنع قد أوجب على كل موظف قبل بدء العمل كل يوم أن يقرأ في مقر العمل جزءًا من القرآن أو ما يقاربه وذلك في مدة نصف ساعة كل صباح ويحتسب هذه المدة من وقت العمل، جزى الله خيرًا من صنع كصنيعه أو نحوه.

ومما يدلك كذلك على عظمة الأجر وروعة الثواب المترتب على تدارس وتعلم آيات الكتاب ما قاله النبي ﷺ يومًا للأصحاب فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة فقال: «**أيكم يحبُّ أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟**» فقلنا: يا رسول الله! نحب ذلك قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل؟**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم برقم [٨٠٣] وقال النووي رحمه الله: «بطحان موضع بقرب المدينة. والكوما من الإبل العظيمة السنام» «شرح مسلم» (٣/ ٣٤٩). والصفَّة موقع مُظلل من المسجد كان يأوي إليه المساكين (غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٩٤).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفات عِظَام سِمَان؟**» قلنا: نعم. قال: «**فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خيرٌ له من ثلاث خلفات عظام سمان**»(١).

إن في هذه النصوص أوردتها ترغيبًا للموفقين أن يجعلوا حياتهم معمورة بتلاوة القرآن، وفيها تنبيه لأهل التجارات أن التجارة الأبقي والأبرك والأربح والأعظم هي الإقبال على كلام الله تلاوة وتدبرًا وعملًا فطوبى لمن جمع بين خير الدنيا والآخرة، طوبى لمن لم تطفه تجارة عن هذه التجارة الأعظم!

طوبى لمن لم تشغله دنياه عن كلام الله! فيها أخر الحبيب إن مانت من الواعين المحلفين أقبل على القرآن نوِّر بتلاوته حياتك، طيِّب به قلبك، وأسعد به نفسك ونظر بترتيله وجهك. عجيب للعاقل كيف يهجر القرآن؟! عجيب منك أيها المؤمن كيف يمر عليك يوم ولم تقرأ شيئًا من كلام ربك جل جلاله؟!

سابعًا- إنزال القرآن أعظم النعم:

إن أكبر النعم قدرًا، وأولاها شكرًا، وأعظمها أثرًا، وأعلاها في كتاب الله ذكرًا، نعمة إنزال الوحي العظيم على نبينا الكريم وهداية الأمة إلى اتباعه ومما يدلك على شرف هذه النعمة وجليل قدرها أن ربنا تبارك وتعالى حينما عدَّد بعض نعمه على عباده في سورة النحل ذكر نعمة إنزال الوحي قبل كل نعمة فقال جل ذكره: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحق ويضمحل به الباطل ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ يعني على من يشاء من رسله ﴿ أَنْ أَنذِرُوٓاْ ﴾ ومعنى

(١) رواه مسلم برقم [٨٠٢] والخلفات: الحوامل من الإبل.

الكلام ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده بأن أنذروا عبادي سطوتي على كفرهم بي وإشراكهم في اتخاذهم معي الآلهة والأوثان فإنه لا إله إلا أنا يقول: لا تنبغي الألوهية إلا لي ولا يصلح أن يعبد سواي»[١].

وقال الواحدي في «الوسيط»: ﴿بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ بالوحي وهو كلام الله سمي روحًا لأنه حياة من موت الكفر[٢].

وذكر ابن الجوزي في «زاد الميسر» أن المراد بالروح ورد فيه ستة أقوال: منها الوحي، والنبوة، والرحمة، ثم قال الوجه السادس: أنه القرآن قال ابن زيد: فعلى هذا سماه روحًا لأن الدين يحيا به كما أن الروح تحي البدن[٣].

فأعظم نعم الله عليك يا عبد الله بعد الهداية للإسلام أن يرزقك الله حفظ كتابه ودوام تلاوته وتدبره فأقبل واحفظ ورتل وأدم النظر في المصحف وأدمن سماع القرآن من القراء المهرة ذوي الأصوات الندية، ولا تغفل عن مراجعته قط فإن القرآن عزيز لا يبقى إلا في قلب حي يقظ مهتم وإذا أهمله إنسان عوقب بنسيانه ويا لها من عقوبة! وقد ورد في «الصحيحين» عن ابن عمر أن النبي قال: «**تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها**»[٤].

إن المسلم الواعي يملأ قلبه وروحه وعقله دومًا بآيات القرآن، تجده يصغي وينصت إليه في بيته وفي عمله، وفي سيارته وبين جلسائه، وبين أولاده وأهله، فالقرآن منهج حياته وسرور ذاته، ومتعة روحه، ولذته الحاضرة ونعيمه العاجل، ومن ذاق هذا

---

(١) «تفسير الطبري» (٧/ ٥٥٧-٥٥٨) ط: دار الكتب العلمية.

(٢) «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» للواحدي (٣/ ٥٥) ط: دار الكتب العلمية.

(٣) «زاد الميسر» لابن الجوزي (٤/ ٣٢٥).

(٤) رواه البخاري برقم [٥٠٣٣] ومسلم برقم [٧٩١].

obeikandi.com

النعيم كان له من النعيم الأبقى الحظ الأوفى والقدر الأعلى ليت الأمة تعي هذا الدرس أفرادًا ومجتمعات فتقتبس من هذا النور الباقي، ما يضيء طريقها في دروب الدنيا الحالكة، وبين المذاهب البشرية الهزيلة الهالكة، ليت أمتي تقبل إلى القرآن فتحكمه في كل صغيرة وكبيرة لتنال وعد الله لها بالعز والتمكين.

وقد امتن الله على عباده بأن بعث فيهم رسوله الكريم ﷺ وأنزل معه أفضل كتبه وخاتمها والمهيمن عليها فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وفي «صحيح مسلم» من حديث عياض المجاشعي رضي الله عنه أن الله تعالى قال لنبيه محمد ﷺ: «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان**»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: «**لا يغسله الماء**» معناه: محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على ممر الأزمان. وأما قوله تعالى: «**تقرؤه نائمًا ويقظان**» فقال العلماء: معناه يكون محفوظًا لك حالتي النوم واليقظة وقيل تقرؤه في يُسر وسهولة(٢).

وتأمل هذه النعمة وقدرها حينما يقول ربنا جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤].

يقول الحافظ ابن كثير: «إنه محفوظ في الصدور، مُيَسَّرٌ على الألسنة، مهمين على القلوب، معجز لفظًا ومعنى ولهذا جاء في الكتب المتقدمة في صفة هذه الأمة: أناجيلهم في صدورهم»(٣).

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٨٦٥].

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٩/ ٢١٧) ط: دار الحديث بالقاهرة.

(٣) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» ص[١٠٤٣] ط: دار السلام.

ثامنًا. القرآن الكريم شفاء القلوب والأبدان:

قال الله جل جلاله: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فُصِّلَتْ : ٤٤] وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] وهو شفاء لما في الصدور من الهواجس والوساوس والضلالات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن شفاء للنوعين ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية من التوحيد وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن فإنه كفيل بذلك كله متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها وأقربها إلى العقول وأفصحها بيانًا، فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، وكل ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه، فمن رزقه الله ذلك أبصر الحق والباطل عيانًا بقلبه كما يرى الليل والنهار».

ثم يقول: وأما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده، ويرغب عما يضره،فيبصر القلب محبًا للرشد، مبغضًا للغي، فالقرآن مزيل للأمراض الموجهة للإرادات الفاسدة فيصلح القلب، فتصلح إرادته ويعود غلى فطرته التي فطر عليها، فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية، كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعي، فيصير بحيث لا يقبل إلا الحق كما أن الطفل لا يقبل إلا اللبن.

وعاد كالطفل ليس بقابل سوى المحض شيئًا واستراحت عواذله

فيتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويقويه، ويؤيده ويفرحه، ويسره وينشطه، ويثبت ملكه كما يتغذى البدن بما ينميه ويقويه، وكل من القلب والبدن محتاج إلى أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح فكما أن البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغذية المصلحة له والحمية عما يضره، فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتم صلاحه إلا بذلك ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلا من القرآن(١).

فالشفاء الذي تضمنه القرآن شفاء عام للقلوب والأبدان، فهو شفاء للقلوب من الشبه والجهالة والآراء الفاسدة، والانحرافات السيئة، وهو شفاء للأبدان من آلامها وأسقامها وأمراضها كما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفرٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء فهل عند أحدكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله غني لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم تجعلوا لنا جُعلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبه، فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم اقتسموا. فقال الذي رقى: لا نفعل حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال: **«وما يدريك أنها رقية؟»** ثم قال: **«قد أصبتم، اقتسموا واضربوا لي معكم بسهم»**(٢).

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٥٢-٥٤) بتصرف، ط: يسير مكتبة الإيمان.

(٢) رواه البخاري برقم [٢٢٧٦]، ومسلم برقم [٢٢٠١] وأصحاب السنن الأربعة.

وروى ابن جبان في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها فقال: «**عالجيها بكتاب الله**»(١) قال الألباني في الصحيحة (٤/ ٥٦٦) وفي الحديث مشروعية الترقية بكتاب الله ونحوه.

يقول ابن القيم رحمه الله: «ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا فكان كثير منهم يبرأ سريعًا، ولكن ها هنا أمرٌ ينبغي التفطن له وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية»(٢).

فالقرآن شفاء لأمراض النفس والفرد والمجتمع كله وما سمعنا وما رأينا قارئًا للقرآن مداومًا على تلاوته أصيب بمرض نفسي يشعره بالضيق أو التبرم من الحياة كلا لن يكون لأن القرآن تنشرح به الصدور، وتطمئن بها لقلوب، وتسكن به النفس وتتجلى عند تلاوته إشراقات الإيمان، وأنوار الطاعة، وآثار الثقة واليقين، ويكتسب القارئ، إيمانًا قويًا يعصمه من الضعف والانهيار، وقد قال ربنا جل وعلا: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وأعظم ما يذكر الله به كلامه، وأجل الذكر وأفضل الذكر تلاوة القرآن وسماعه.

حدثني بعض الإخوة أن أحد البائعين للأشرطة الإسلامية أمام مسجد الاستقامة بالجيزة جاءت إليه سائحة غربية تريد شراء شريط تلاوة للقرآن بصوت الشيخ محمد صديق المنشاوي، وهنا تعجب الأخ وسألها هل أنت مسلمة؟ قالت: لا. قال: فلماذا

(١) رواه ابن حبان برقم [١٤١٩] الألباني في «الصحيحة» برقم [١٩٣١]، وفي «صحيح الجامع» برقم [٣٩٦٩].

(٢) «الداء والدواء» لابن القيم ص[٨] ط: دار ابن رجب.

إذًا تريدين هذا الشريط؟ فقالت: إنها مريضة بمرض نفسي ولا تستريح ولا تهدأ إلا إذا سمعت تلك التلاوة!!

وأريد هنا أن أسجل بعض أحداث الشفاء بالقرآن من واقعنا المعاصر لعلها تكون عظة وذكرى لأصحاب الثقة الضعيفة واليقين المتهري الهزيل.

المشهد الأول:

هذه فتاة محبة لكتاب الله جل جلاله كثيرة التلاوة لآيات الله أصيبت هذه الفتاة بمرض شديد مقلق مؤرق مؤلم، هذا المرض هو سرطان الكبد وبقيت في المستشفى مدة طويلة وإذ بالأطباء يقولون لأخيها إن حالتها سيئة جدًا وهي تتردّى من سيئ، إلى أسوأ وقد تموت في لحظة. ويا له من خبر ويا لها من مأساة!! وكانت الفتاة تستشعر هذا الخطر وتحس بهذا المصاب الأليم فطلبت من أخيها مصحفًا لكي تقرأ فيه، وأخذت تتلو آيات القرآن بكرة وعشيًا، صباحًا ومساء، وكلما قرأت نفثت في كفيها ثم مسحت بهما جسدها، واستمرت على ذلك ليالي وأيامًا صابرة ثابتة طامعة في رحمة الله وشفائه لها، ثم كانت المفاجأة العجيبة للأطباء رأوا أن الفتاة أصبحت حالتها تتحسن يومًا بعد يوم وأن بوادر الشفاء بدأت في الظهور على وجهها ونبض الوجه بالحيوية من جديد، وبدأ جسمها ينشط في حركته، تعجَّب الأطباء من ذلك وسألوا أخاها هل أعطيتموها دواء؟ فقال أخوها: إنها استعملت أفضل شفاء إنه القرآن جعلت تقرأ وتنفث على جسدها فشفيت وعادت إليها العافية وتجدد في جسدها النشاط بإذن الله فسبحان من يحيى العظام وهي رميم.

المشهد الثاني:

أقول: وسمعت أحد جراحي القلب الذين منَّ الله عليهم بنعمة الهداية والدعوة إلى الله جل جلاله سمعته يقول: وردت إلينا حالة لطفل عمره أربع شهور وهو مصاب بشريان تاجي أيسر شاذ حيث إن هذا الشريان بدلًا من أن يخرج من الأورطي خرج من

الشريان الرئوي، وهذا يسبب له جلطات متكررة في القلب، قال: فأجريت له عملية بدأت في الساعة الثامنة صباحًا ظللتُ أنا ومن معي في غرفة العمليات حتى الساعة الرابعة فجرًا، ولا زلنا لم ننته فقلت لزميلي: قد برأت الذمة لا أعتقد أننا نستطيع أن نصنع شيئًا فقال: لا بأس، فقلت: إذًا دعنا نفصل عنه الجهاز إن عاش فهذا خير وإن مات فقد أدينا ما علينا لأننا نعمل لمدة واحد وعشرين ساعة قال: فأغلقت جهاز القلب والرئة الصناعية وإذ بالضغط ينخفض شيئًا فشيئًا، حتى أوشك القلب على التوقف تمامًا قال: وبعد دقيقتين نظرت فإذا بي أرى عجبًا!! رأيت مؤشر مراقبة الضغط يعلو شيئًا فشيئًا وإذ به يصل إلى المعدل الطبيعي ومعنى ذلك أن القلب صار سليمًا وشفي، فنظرت إلى دكتور التخدير فقلت له: هل أعطيته شيئًا يقوي القلب؟ قال: لا.

قال: فنظرت فإذا بالطبيب زميلي قد وضع يده على قلب المريض يرقيه بآيات القرآن الكريم فسكت حتى انتهى من رقيته فقلت له بماذا رقيته؟ قال: بالفاتحة، وبالمعوذتين والإخلاص وآية الكرسي وبدعاء أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات، قال: قلت: سبحان الله من الذي أحياه ومن الذي شفاه؟ إنه الله الذي يحي العظام وهي رميم.

وقال أيضًا حَفِظَهُ اللهُ: جاءني بعض الناس بمريض صغير كان عمره ثلاث سنوات، وكانت العملية الجراحية له في غاية الصعوبة فناقشت أهله حول إجراء العملية وبينت لهم خطورة الإقدام عليها وأن نتيجة النجاح قليلة جدًا فقالوا: توكل على الله وقم بإجرائها والله ربنا هو المستعان في أمرنا وأمره.

قال: بدأت إجراء العملية من بداية الصباح حتى الساعة الثانية عشرة ليلًا وبعد انتهاء الجراحة وضع في غرفة الإنعاش، ولكن عندما وصل ضغط القلب في جهاز المراقبة إلى ٢,٥٪ عرفت عندها أنه لا فائدة ورأيت كذلك عدم وجود بول لدى هذا الطفل المريض ووجود البول من أهم علامات الحياة لدى جراح القلب، إذا تبول المريض عرف

الجراح سلامته واطمأن بذلك، وإذا لم يتبول المريض علم ذلك الجراح أن هناك مشكلة لابد من المسارعة إلى النظر فيها.

قال: وفي الساعة الثانية أحسست بالتعب الشديد فقلت لزميلي: لقد تعبت وأعتقد أنه لم يبق هناك أمل في أن يظل حيًا افعل أنت ما تراه فقد بذلت كل ما في وسعي، ثم بينما أنا خارج من غرفة الإنعاش إذ بأم لأحد الأطفال المرضى تطلب مني أن أرقي ابنتها حتى تهدأ أو تنام وهنا تذكرت ذلك المريض الذي هو في الرمق الأخير فقلت في نفسي: لماذا لا أقرأ عليه لعل الله أن يشفيه بعد أن عجزت أنا في علاجه؟!

قال: فرجعت سريعًا جدًا إلى هذا الطفل المريض ... والله يا إخوة .. والله لقد حدث هذا ... انقلوها عني فوالله قد حدثت .. رأيت قدرة ربي لا إله إلا هو. نعم، وضعت يدي اليمنى على قلب المريض فوق الجرح مباشرة وجعلت أنظر إلى جهاز المراقبة أمام عيني وجعلت أرقيه حتى وصل مؤشر الجهاز إلى ١٢٠ درجة وبعد خمس دقائق إذا بالبول ينهمر وبعد عشر دقائق ارتفعت حرارة الجسد وصارت طبيعية جدًا، قلت: سبحان الذي أحياه وشفاه!![1].

إخوتي أحبتي، في القرآن شفاؤنا ودواؤنا فأين ثقتنا ويقيننا؟! في القرآن دواء وبُرؤء من تلك الأمراض التي تنهش في القلوب وتنخر في الأرواح حتى تردي صاحبها وتسقطه في تيه الضلال، وجسرات الانحراف والبعد عن الله، وفي القرآن علاج لأمراض الأبدان، بل لأمراض الأمم والشعوب والمجتمعات.

يقول صاحب الظلال: «وفي القرآن شفاء وفي القرآن رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرقت وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح وطمأنينة وأمان، في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة فهو يصل القلب بالله فيسكن ويطمئن، ويستشعر الحماية، والأمن، ويرضى فيستروح الرضا من الله والرضا عن الحياة.

(١) انظر فصل «الشفاء بعد المرض» من كتابي «أروع القصص» طبعة الدار العالمية.

والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء؛ ومن ثم فهو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان وهي من آفات القلب التي تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطيم والبلى والانهيار، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير فهو يعصم العقل من الشطط، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ويكُفُّه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي ويأخذه بمنهج سليم مضبوط يجعل نشاطه منتجًا ومأمونًا ويعصمه من الشطط والزلل وكذلك هو في عالم الجد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط فيحفظه سليمًا معافى ويدخر طاقاته للإنتاج المثمر، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة ومن ثم هو رحمة للمؤمنين»[(١)].

القرآن كله شفاء كل آياته شفاء يقول ابن القيم في قول الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] من هنا لبيان الجنس لا للتبعيض؛ فإن القرآن كله شفاء كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧] فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أسرع في إزالة الداء من القرآن[(٢)].

---

(١) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٢٤٨) ط: دار الشروق، وينبغي معرفة عقيدة أهل السنة قبل قراءة هذا الكتاب حتى يتجنب القارئ ما فيه من مخالفات عفا الله عن صاحبه ورحمه وغفر له.

(٢) «التفسير القيم» ص[٣٤٨] تحقيق محمد حامد الفقي ط: دار الكتب العلمية.

ولله در القائل:

ولــو داواك كــل طـبـيـب داءٍ بـغـيـر كــلام ربــي مــا شـفـاك

تاسعًا ـ القرآن موعظة الله ورسالته إلى الخلق

القرآن الكريم هو رسالة الله إلى خلقه وموعظته لعباده ولا يصلحهم ولا يسعدهم في معاشهم ومعادهم سواه لأنه ليس هناك أحدٌ أعلم بالناس من ربهم وخالقهم وفاطرهم جل جلاله.

القرآن هو أعظم كتاب للهداية والإصلاح والتربية العقائدية والأخلاقية فهو أصدق الأنباء، وأحسن القصص، وأعظم العظات والعبر، وأعدل الأحكام قال الله الملك الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونُس: ٥٧] وقد أمر الله رسوله أن يجاهد الكافرين بحجج القرآن الباهرة، وبراهينه الظاهرة، وهكذا أمته مأمورة بأن تجاهد بالقرآن أهل الزيغ والإلحاد والطغيان، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفُرقَان: ٥٢] أي جاهدهم بالقرآن وهذا هو جهاد الحجة والبرهان، وكذلك أمر الله رسوله أن يذكر بهذا القرآن فقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد وعظ القرآن المجيد، يُبدى التذكار عليكم ويعيد،، غير أن الفهم منكم بعيد، ومع هذا فقد سبق العذاب التهديد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥].

إن في القرآن ما يلين الجلاميد، لو فهمه الصخر كأن الصخر يميد، كما أخبرك بإهلاك الملوك الصيد، وأعلمك أن الموت بالباب والوصيد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥].

obeikandi.com

إن مواعظ القرآن تذيب الحديد، وللفهوم كل لحظة زجر جديد، وللقلوب النيرة كل يوم به عيد، غير أن الغافل يتلوه ولا يستفيد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

أما الموت للخلائق مبيد، أما تراه قد مزّقهم في البيد، أما داسهم بالهلاك دوس الحصيد، أين من كان ينظر بين يديه؟! أين من أبصر العبر ولم ينتفع بعينيه؟! أين ما بارز بالذنوب المطلع عليه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

أين من كان يتحرك في أغراضه ويميد، ويغرس الجنان لها طلعٌ نضيد، ويعجبه نغمات الورق على الورق بتغريد، كان قريبًا منا فهو اليوم بعيد ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[1].

لقد أقام الله الحجة على الخلق جميعًا بهذا القرآن وكل من بلغه القرآن وجب عليه اتباعه والعمل بما فيه فهو الحق الباقي إلى يوم القيامة ألا فليسمع العالم كلام الله ولينصت كل البشر إلى أحكام الله وأوامره فهذه موعظة الله لهم ورسالته إليهم، وحجته الباقية عليهم.

عاشرًا- خير الخلق من تعلَّمه وعلّمه:

القرآن هو أعظم كتاب وخير كتاب ولذلك فإن من يقرأ القرآن ويطالع آياته، ويترنم به في صلواته ينال من تلك العظمة بقدر ما تزود من القرآن وتتحقق له الخيرية على غيره بقدر حرصه على كلام ربه تلاوةً وحفظًا وتدبرًا، ولذا فإننا نقول بكل عزة ووضوح: إن خير الخلق وأفضل البشر على الإطلاق هم أولئك الموفقين الذين تعلموا القرآن وعلَّموه، وقاموا به وتدبروه، وعملوا به وفقهوه، وحببوه ونشروه، ودعوا إليه ووقروه وعظموه.

---

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ٨٩)، ط: دار الحديث.

ورد في «صحيح البخاري» من حديث عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» قال[١]: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرأة عثمان حتى كان الحجَّاج قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا[٢].

فانظر إلى هذا التابعي الإمام الثقة أبو عبد الرحمن السلمي كيف يجلس هذه السنين الطويلة ليعلم الناس القرآن ويذكر أن الذي دفعه إلى ذلك هذا الحديث الذي يرويه عن عثمان رضي الله عنه وهذا حرص على الخيرية والأفضلية التي ينبغي أن يحرص عليها ويسارع إليها كل مؤمن صادق وقد ورد هذا الحديث عند البخاري بلفظ آخر عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أفضلكم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[٣].

وهذا عثمان رضي الله عنه نفسه ورد أنه قام ليلة كاملة بركعة واحدة ختم فيها القرآن كله.

وورد عنه أنه قال: لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم.

وأهل القرآن هم أهل الله وخاصة الله من خلقه كما روى أحمد في «المسند» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله عز وجل أهلين من الناس**» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[٤].

وحملة القرآن المهرة بالقرآن مع ملائكة الله جل جلاله كما في «الصحيحين» عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرم البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[٥].

---

(١) هو هو سعد بن عبيدة الراوي عن أبي عبد الرحمن السلمي وأبو عبد الرحمن هو الراوي عن عثمان كما في «الفتح» (٨/ ٦٩٣).

(٢) رواه البخاري برقم [٥٠٢٧].

(٣) رواه البخاري برقم [٥٠٢٨].

(٤) رواه البخاري برقم [٥٠٢٨].

(٥) رواه البخاري برقم [٤٩٣٧]، ومسلم برقم [٧٩٨]، ويتعتع فيه: يتردد في تلاوته لضعف حفظه.

obeikandl.com

أي أخي، والله ثم والله لأن تلقى ربك وأنت حافظ لكتابه خير لك ألف مرة من أن تلقاه وأنت تحمل شهادة دكتوراه.

والله لأن تلقى ربك وأنت عالم بكتابه معلم له خير لك وأكرم من أن تلقاه بمليارات الدولارات والأملاك والعقارات، فالقرآن هو الذي يعزك ويعليك، ويكرمك يربيك، ويطهرك ويزكيك، فاعقل هذا المعنى جيدًا وأنفق من وقتك أعز الأوقات وأغلاها لتحوز أعلى الشرف وأكمله فأقبل وتقدّم والله الموفق ومنه العون والمدد لتقدَّم وتُكَرَّمْ.

حادي عشر- القرآن شفيع لأصحابه:

من كرامة الله لأهل القرآن أن يشفع فيهم القرآن يوم القيامة ورد في «صحيح مسلم» من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجّان عن أصحابها، أقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**»(١) قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة.

وروى أحمد والطبراني في «الكبير» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان**»(٢).

فالقرآن ينجى بشفاعته أصحابه وهو حجة لهم يوم القيامة أو حجة عليهم فإن أهله العاملون به القائمون بحقوقه فيكون حجة لهم أما أهل الإعراض والعناد والغفلة

---

(١) رواه مسلم برقم [٨٠٤].

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٦٦) والطبراني في «الكبير» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» [٩٨٤].

obeikandl.com

عن أحكامه وأوامره ونواهيه فهو حجة عليهم قال رسول الله ﷺ: «**والقرآن حجة لك أو عليك**»[١].

فأيهما أنت؟! هل سيكون القرآن حجة لك أم سيكون حجة عليك؟! طوبى لمن كان القرآن حجته! قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده إلى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه زجَّ في قفاه إلى النار»[٢].

يقول الشاطبي رحمه الله:

وإن كتاب الله أوثق شافع ... وأغنى غناء واهبًا متفضلا
وخير جليس لا يمل حديثه ... وترداده يزداد فيه تجمُّلا
فيا أيها القارئ به متمسكًا ... مجلًا له في كل حال مبجّلا
هنيئًا مريئًا والداك عليهما ... ملابس أنوار من التاج والحُلا
فما ظنكم بالنجل عند جزائه ... أولئك أهل الله والصفوة الملا

ثاني عشر- القرآن يطيب قارئه ويجمله:

القرآن يطيب ويجمل ويهذب من تلاه، ولا يوجد في العالم وما وجد ولن يوجد كتاب يطيب ويطهر من قرأه ويرفع شأنه ويعلي مكانه ومكانته مثل القرآن إنه الكتاب الوحيد الفريد الذي يضمن ذلك وغيره من كل خير وبر وفضل وكرامة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو،**

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٢٣].

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» [٨٦٥٥] وصححه الحويني في تحقيق «فضائل القرآن» لابن كثير ص[٢٨٢].

ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «طعمها طيب وريحها طيب» قيل خص صفة أهل الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد ذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، ثم قيل: الحكمة من الريح في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة لأنه يتداوى بقشرها وهو مقرحٌ بالخاصية ويستخرج من حبها دهن له منافع وقيل إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج فتناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن وفيها أيضًا من المزايا كبر جرمها وحسن منظرها وتفريع لونها، ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة هضم ولها منافع أخرى مذكورة في كتب المفردات».

ثم قال الحافظ: «وفي الحديث فضيلة حاملي القرآن، وضرب المثل للتقريب للفهم وأن المقصود من تلاوة القرآن على غيره يستلزم فضل القرآن على سائر الكلام كما فضل الأترج على سار الفواكه»[(٢)].

وذكر البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في خلق أفعال العباد عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه وذلك أنه منه.

---

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٢٠]، ومسلم برقم [٧٩٧] والأترجة التفاحة.

(٢) «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (٨/ ٦٨٤، ٦٨٥).

قال ابن حجر: «وأشار في خلق أفعال العباد أنه لا يصح مرفوعًا وأخرجه العسكري أيضًا عن طاووس والحسن من قولهما»[١].

فالقرآن يجملك ويكسوك بنضارة الإيمان وتلوح لعيك بتلاوته أمارات التقوى، ويتلألأ على محياك نور التلاوة وجمالها.

ثالث عشر- القرآن وصية النبي العاصمة:

القرآن هو العاصم من الزيغ والانحراف وهو سبيل الأمان لأهل الإيمان، ومن تمام حرص النبي ﷺ على أمته أوصاهم بكتاب الله ففيه فلاحهم، وعصمتهم ونجاتهم وعلو شأنهم، وقوة يقينهم وشفاء صدورهم وقلوبهم وأبدانهم لذا أوصانا رسول الله ﷺ بإكرام القرآن وحفظه حسًا ومعنى واتباع ما فيه وتعلمه بأوامر واجتناب نواهيه والمداومة على تلاوته وتعلمه وتعليمه.

ذكر البخاري في «صحيحه» عن طلحة قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى أوصى النبي ﷺ ؟ قال: لا يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله[٢].

وقال رسول الله ﷺ : «**وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله**»[٣].

وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**» قالوا: بلى. قال: «**إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا**»[٤].

---

(١) السابق (٨/ ٦٨٤).

(٢) السابق (٨/ ٦٨٤).

(٣) رواه مسلم برقم [١٢١٨].

(٤) رواه الطبراني قال الألباني: وأخرجه ابن حبان (١/ ٢٨٦) رقم [١٢٢] وابن نصر في «قيام الليل» ص[٧٤] بسند صحيح كما في «صحيح الترغيب» (١/ ٢١(ط: المكتب الإسلامي).

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**تعلّموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به، والذي نفسي بيده لهو أشد تفلتًا من المخاض في العقل**»(١).

وفي «المسند» والترمذي وحسنه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، على جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستورٌ مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط المستقيم جميعًا ولا تفرقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم**»(٢).

وعن عبد الرحمن بن أبزى قال: قلت لأبي بن كعب لما وقع الناس في أمر عثمان: أبا المنذر ما المخرج؟ قال: كتاب الله ما استبان لك فاعمل به وما اشتبه عليك فكله إلى عالمه(٣).

وقال أبو مسعود لحذيفة: إن الفتنة وقعت فحدثني ما سمعته؟ قال: أولم يأتكم اليقين؟ كتاب الله عز وجل(٤).

القرآن حفظ ووقاية، وثبات وحماية للأمة كلها أفرادًا وجماعات يعصمها من الفتن وينتشلها من زيغ المناهج والمذاهب إلى النور الساطع والضياء اللامع والهدى المستقيم، فلن تضل أمة تمسكت بكتاب الله وكلامه، ولن ينحرف فرد تشبث واستمسك بكتاب الله

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٤٦)، والدارمي (٢/ ٣١٦) وصحح سنده الحويني حفظه الله في تحقيق «الفضائل» ص[٢١٧].

(٢) رواه الترمذي رقم [٢٨٥٩] وأحمد (٤/ ١٨٢] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٨٨٧].

(٣) «التاريخ الأوسط» للبخاري (١/ ٦٤) نقلًا عن «بصائر في الفتن» للمقدم ص[٢١].

(٤) «الحلية» لأبي نعيم (١/ ٢٧٤).

obeikandl.com

وقرآنه الحكيم، هذه وصية رسول الله ﷺ لنا وما أحرانا أن نأخذ بها لاسيما في زمن الفتن الذي نعيشه وعصر المادية الطافحة والشبهات والشهوات الكثيرة المتأججة، يحتاج الشاب المسلم قبل خروجه إلى جامعته أو مدرسته أو حتى إلى الشوارع والطرقات أن يأخذ زادًا من كتاب الله ليملأ قلبه بمراقبة الله والحذر من معصيته، وأن يصطحب مصحفه معه ليملأ عينيه في المواصلات من عظاته بدلًا من الالتفات يمينًا ويسارًا والنظر إلى المتبرجات اللاتي لا يخلو منهن مكان في هذا الزمان، أسأل الله أن يحفظنا وشباب المسلمين من كل فتنة وأن يقينا شر كل سوء وبلاء.

أقول: القرآن أخي يربيك، القرآن يزكيك، القرآن يحول بينك وبين الانتكاس والنكوص والسقوط، القرآن يسددك ويُقِّوم سيرك في طريقك إلى الله جل جلاله، القرآن عصمة لك ونجاة لك من براثن الفتن الخطافة التي انتزعت في دواماتها المتألبة كثيرًا من شباب المسلمين وشغلتهم بالدنيا عن الدين وسبب ذلك تقصير في صدق الاعتصام والاستمساك بكتاب الله وسنة رسوله ألا فليقبل كل خائف من جراحات الفتن إلى سبيل الأمان ومعين الهدى ونور الحياة، وحياة النفوس والقلوب كتاب الله جل جلاله ففيه بغية لكل طالب ورحمة لكل راغب، ليتنا نستجيب لهذا النداء!! ليتنا نسارع بحب وشغف إلى القرآن فيكون هو زادنا وسدادنا في طريقنا إلى الله جل جلاله.

رابع عشر- الملائكة والسكينة تتنزلان عند تلاوة القرآن:

ويا له من مشهد ما أروعه! وذلك حينما يفتح المؤمن كتاب ربه ويتأنق في رياض معانيه وحينئذٍ تنزل ملائكة الله لتستمع إلى طيب التلاوة، وروعة التلاوة، والخشوع الندي بكلام الرب العلي، وإذا اجتمع قوم من المؤمنين في بيت من بيوت الله على كتاب ربهم كذلك حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت السكينة عليهم وذكرهم ربهم جل جلاله عنده في الملأ الأعلى فيا لها من كرامة!! ويا له من فضل عظيم يحوزه من تلا وقرأ القرآن الكريم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير**» قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها قال: «**وتدري ما ذلك؟**» قال: لا. قال: «**تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم**» هذا لفظ البخاري.

أما لفظ مسلم ففيه عن أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ إذ جالت أيضًا، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها قال: فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقرأ يا ابن حضير**»، قال: فقرأت، ثم جالت أيضًا قال: «**اقرأ يا ابن حضير**» قال: فقرأت ثم جالت أيضًا. فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقرأ يا ابن حضير**» قال: فانصرفت وكان يحيى قريبًا منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال رسول الله: «**تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستترُ منهم**»[(١)].

قال الإمام النووي -عليه رحمة ربنا العلي-: «وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة وفيه فضيلة استماع القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم: «**اقرأ**»

(١) رواه البخاري برقم [٥٠١٨] ومسلم برقم [٧٩٦] والمربد المكان الذي فيه التمر.

obeikandi.com

ثلاث مرات ومعناه: كان ينبغي أن تستمر على القرآن وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها»[(١)].

وتعقب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ الإمام النووي في مسألة نزول الرحمة والملائكة فقال بعد أن أورد كلام النووي هذا: قلت (ابن حجر): الحكم المذكور أعم من الدليل، فالذي في الرواية إنما تنشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ وقد أشار في آخر الحديث بقوله: «**ما تتوارى منهم**» إلى أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم»[(٢)].

قلت: وقول الإمام النووي هو الأصوب والأرجح وذلك لما يلي:

١- هذه كرامة أكرم الله بها أسيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الليلة وحدها إذ من المعلوم أن هذه القراءة تكررت منه في غير ذلك الموطن ولم يُعلم أن ذلك النزول والظهور تكرر، بل لم يعرف عن غيره من الصحابة الذين هم أفضل من أسيد كالعشرة وغيرهم من المهاجرين الأولين.

٢- أن رواية مسلم ليس فيها تصريح باسم السورة ولا تحديد لها فهذا مما يرجح نزول الملائكة عند قراءة عموم القرآن.

٣- لا يلزم من نزول الملائكة ظهورهم ورؤيتهم.

٤- أنه قد ثبت في «صحيح مسلم» التصريح بنزول الملائكة لأي قوم اجتمعوا على قراءة القرآن في بيت من بيوت الله والحديث أذكره شاهدًا ودليلًا على نزول الملائكة عند تلاوة القرآن.

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٣٤٢) ط: دار الحديث.

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٦٨٢) ط: دار الريان.

obeikandl.com

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

وما المانع من نزول الملائكة وسماعها لتلاوة القارئ المنفرد لاسيما إذا كان مخلصًا من المخلصين ومخبتًا من المخبتين؟

٥- أنه قد ثبت أن الملائكة تحب سماع الذكر وتحضره ومما ورد في ذلك حديث الملائكة السياحين وهو عند مسلم ومن ذلك قول ربنا جل جلاله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] أي تحضره الملائكة كما ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح**» يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(٢).

لذلك فالقول بعموم نزول الملائكة عند تلاوة القرآن أصح والله أعلم.

ثم دعونا نعود سريعًا لحديث أسيد بن حضير لنلمح فيه حرص الصحابة على تلاوة القرآن وشغفهم بترتيله وقراءته ومداومتهم على ذلك لاسيما في الليل حيث يصفو الذهن وتقل الشواغل والمشوشات ويكون التدبر أمكن وأحسن كما قال ربنا جل جلاله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

قال الحافظ ابن كثير: «والغرض أن ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآنات، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة»(٣).

(١) رواه مسلم برقم [٢٦٩٩].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٧١٧].

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ١٩٨).

لقد تعطر سمع الزمان في عصر الصحابة بروعة التلاوة في الأسحار ومواصلة الترنم بالآيات في الليل والنهار فصدق الحب عنوانه ملازمة ذكر الحبيب، وأحب الذكر إلى ربنا التقرب إليه بكلامه والتنعم في الخلوات بتدبر خطابه ألا ليت أمتنا تعي الدرس فتجعل من الليل مدرسة لتربية أجيالها على الإخلاص والتجرد وصدق الانتماء لهذا الدين والحياة في ظل أصوله القويمة والتأدب بآدابه العظيمة وأخلاقه الكريمة.

خامس عشر- القرآن كرامة لأهله في الدنيا والآخرة:

القرآن يكرم أهله ويرفعهم على من سواهم فهذا الكتاب الكريم من أكرمه أكرم ومن عظمه كان أهلًا لأن يوقر ويعظم فكلما كان المرء أحفظ وأقرأ للقرآن كان هو الأولى والأحق بالتقديم في كل خير ومن ذلك أن النبي ﷺ أمر أن يقدم لإمامة الناس في الصلاة أقرؤهم لكتاب الله جل جلاله كما روى مسلم وغيره من حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا، ولا يؤمنّ الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه**»(١).

وفي حديث عمرو بن سلمة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلو صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنًا فنظروا فلم يكن أحدٌ أكثر قرآنا مني لما كنت أتلقي من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين**»(٢).

---

(١) رواه مسلم برقم [٦٧٣]، وأبو داود برقم [٥٨٢]، والترمذي [٢٣٥]، والنسائي (٢/ ٨٦) وابن ماجه برقم [٩٨٠].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٣٠٢]، أبو داود برقم [٥٨٥]، والنسائي (٢/ ٨٠).

obeikandl.com

قلت: وعمرو بن مسلمة رضي الله عنه قيل فيه المدح بذلك شعرًا:

بلغت لسبع مضت من سنِيِّكَ ... ما يبلغ السيِّدُ الأشيبُ
فَهَمُّك فيها جسام الأُمور ... وهمُّ لِدَاتِكَ أن يلعبوا

ومما يدل على شرف أهل القرآن وتقديمهم إلى الإمامة أيضًا ما رواه البخاري وأبو داود رحمهما الله من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما قدم المهاجرون الأولون العصبة - موضع بقباء - قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرآنًا»[١] وكان سالم حينئذٍ لا زال عبدًا لم يعتق فتقدمهم مع شرفهم مما يدل على كرامة الله لأهل القرآن.

ومما يدل كذلك على شرف أهل القرآن وتكريم النبي صلى الله عليه وسلم لهم ما رواه البخاري عن جابر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول: «**أيهما أكثر أخذًا للقرآن**». فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد[٢] أي قدمه في الدفن فيدفن أولًا قبل غيره.

ومما يدلك على تكريم الصحابة لأهل القرآن وكون ذلك التشريف أمر مستقر عندهم ما سبق ذكره عن عامر بن واثلة أن نافع بن الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة (أي يجعله أميرًا عليها) فقال: من استعلمت على أهل الوادي؟ قال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»[٣].

---

(١) رواه البخاري برقم [٦٩٦]، وأبو داود برقم [٥٨٨].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٠٧٩].

(٣) رواه مسلم برقم [٨١٧].

obeikandl.com

فإقرار عمر رضي الله عنه واستشهاده بالحديث يدل على الفضل العظيم لأهل القرآن وإقدام نافع بن الحارث على توليه مولى دليل على علمه باتفاق الأمة على تفضيل أهل القرآن على غيرهم في ذلك الزمان لا سيما إذا انضم إلى ذلك فقه وعلم وحكمة.

ومما يدلنا كذلك على شرف أهل القرآن أن اتخذهم عمر رضي الله عنه أهلًا لمجلسه ومشورته صغارًا كانوا أم كبارًا فيكفيهم ذلك الشرف العظيم الذي أكرمهم به ربهم العليم الحكيم جل جلاله، كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة ابن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن -قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه- وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، فاستأذن له، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر رضي الله عنه حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان عمر وقّافًا عند كتاب الله تعالى»[(١)].

والشاهد في الحديث قوله رضي الله عنه: «وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا» فيا له من شرف كبير ويا له من فضل عظيم!!

وقد روى أبو داود بسند حسنه النووي في «التبيان» من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٦٤٢].

(٢) رواه أبو داود برقم [٤٨٤٣] وحسنه النووي في «التبيان» ص[٢٤]، والألباني في «صحيح الترغيب» برقم[٩٨].

وفي الآخرة يكون الجزاء أجل وأوفى تأمل هذا الحديث الكريم عن نبينا ﷺ والحديث رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»(١).

ومن ذلك ما رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والدارمي وغيرهما وحسنه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلّه فيُلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده فيُلبس حلة الكرامة ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة**»(٢).

وللآباء الذين يفرطون في تعليم الأبناء كلام الله ويقدمون غيره عليه ويهتمون بسواه عنه نقول: كتاب الله هو الذي سيربي لك ولدك هو الذي سوف يرفعه وينفعه ويزكيه ويهديه ويمتد نفع القرآن لولدك في الدنيا والآخرة بل يصل النفع إليك أنت فكن على يقين راسخ أن القرآن مبارك يزيد بركة عمرك وعملك ورزقك، وتأمل هذه الكرامة العالية والمنقبة السامية التي تنالها إذا تعلم ولدك القرآن وعمل بما فيه.

قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبُس والده تاجًا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود [١٤٦٤] والترمذي [٢٩١٤] وحسنه الألباني في «المشكاة» [٢١٣٤] وفي «الصحيحة» رقم [٢٢٤٠].

(٢) رواه الترمذي برقم [٢٩١٥] والدارمي [٣٣١١] والحاكم [٢٠٢٩] وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٨٠٣٠] وذكره الترمذي طريقًا آخر لهذا الحديث موقوفًا على أبي هريرة وذكر بأنه أصح من المرفوع ووافقه المباركفوري كما في «التحفة» (٧/ ٣٧٨-٣٧٩).

(٣) رواه أبو داود برقم [١٤٥٣] وسمعت شيخنا العدوي يصححه ويستشهد به.

obeikandi.com

فاللهم علمنا القرآن واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

سادس عشر ـ القرآن حرز مكين من كيد الشياطين:

قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر وإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**»(١).

وقال ﷺ: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله: «وقيل معناه كفتاه من قيام الليل، وقيل من الشيطان، وقيل من مس الآفات ويحتمل من الجميع»(٤).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعليّ عيال، وبي حاجة شديدة فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالًا فرحمته وخليت سبيله فقال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فعزفتُ أنه سيعود لقول رسول الله فرصدته فجاء يحثو من الطعام فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال لا أعود

(١) رواه مسلم برقم [٧٨٠] والترمذي برقم [٢٨٧٧].

(٢) رواه مسلم برقم [٨٠٩].

(٣) رواه البخاري برقم [٤٠٠٨]، ومسلم برقم [٨٠٧].

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣/ ٣٥٢) ط: دار الحديث.

obeikandi.com

فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالًا فرحمته وخليت سبيله فقال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ ولن يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟**» قلت: لا. قال: «**ذاك شيطان**»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما[(٢)].

إن قارئ القرآن قريب من رحمة الرحمن بعيد عن وساوس الشيطان، فالقرآن يدحر كيد الشيطان ويبطل بأسه، ويجفف منابع الفتنة، يفجر ينابيع التقوى والإيمان والمراقبة للملك جل جلاله.

---

(١) رواه البخاري رقم [٢٣١١].

(٢) رواه الترمذي وحسنه برقم [٢٠٥٨] وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» [٢٨٣٠].

والقلب المعمور بكلام الرحمن لن تستحكم فيه شهوات أو زيغ أو طغيان، القلب المملوء بحفظ القرآن لن ترى منه إلا رقة ورحمة يكسوها حماس وغيرة، فأنى للشياطين أن تستحوذ على قلب مملوء بكلام رب العالمين؟! ما دام القرآن يتردد على اللسان وتمر معانيه في القلب والجنان، يلقي السمع إليه فإن الشيطان سوف يظل مدحورًا مخذولًا ويرتد إليه كيده خاسئًا وهو حسير.

سابع عشر- صاحب القرآن أهلٌ لأن يغبط:

حق لمن أوتي هذه الكرامة العليا والفضيلة الأسمى والنعمة التامة والخير العظيم أن يتمنى كل عاقل ما هو فيه، وأن تتطلع النفوس الزكية أن تماثله وتحاكيه قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أوتيتُ مثلما أوتي فلان فعملتُ مثلما يعمل ورجلٌ آتاه الله مالًا فهو يهلكه في الحق، فقال رجلُ: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملتُ مثلما يعمل**»[(١)].

وفي لفظ آخر:

قال المصطفى ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٌ آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل والنهار**»[(٢)].

قلت: بالله تأمل في هذا الحديث العظيم لتلمح كيف قدم النبي ﷺ نعمة القرآن على نعمة المال وكيف أن النبي قال ﷺ: «**رجل علمّه الله**» وآتاه الله لتعلم أن القرآن وحفظه محض نعمة من الله واصطفاء من الله للصالحين من حملة كتاب الله رب العالمين، ثم انظر كيف أنه قرأ آناء الليل والنهار لتعلم أن القرآن يثبت في

---

(١) رواه البخاري برقم [٥٠٢٥].

(٢) رواه البخاري برقم [٥٠٢٦]، ومسلم برقم [٨١٥].

obeikandl.com

القلب ويزداد جلاله فيه وبهاؤه بدوام المراجعة والتلاوة والترنم به في الليل والنهار، وكيف أن جاره سمعه بدون قصد منه وهذا يفضل قراءة الجهر من ناحية التدبر ودفع وساوس الشيطان ما لم يقصد بها رياء فتبطل بالرياء، ثم تدبر كيف أن إخلاصه سرى إلى جاره وأثر فيه حتى تمنى أن يكون هو كذلك فهذه دعوة إلى الخير والصلاح والتقى لم يعاني فيها الداعية من مناقشة ومناظرة وطول حديث ومحاورة، ولا عجب فذلك من بركة القرآن العظيمة.

ليتنا نسمع لبيوتنا في الليل دويًا كدوي النحل!! ليتنا نسمع من بيوتنا قراءة القارئين وتبتل القائمين وطلاوة التلاوة من المتهجدين، بدلًا مما ينبعث من البيوت الآن من أصوات المغنين الفاجرين والممثلين الفارغين التافهين الذين ينعقون في الليل والنهار بالشهوات ويغنون لها ويُخَبِّثون الأبصار والأسماع بالفجور والمجون وبهذا يصرف الناس عن الله وآياته ألا ما أضيع أمة صار ليلها في سماع المسلسلات والأفلام ونهارها استغراق في جمع الحطام ليت أمتي تفيق وتأخذ بأعظم أسباب سعادتها وفلاحها في الدنيا والآخرة ألا وهو كتاب الله جل جلاله.

وفي شرح هذا الحديث يقول الإمام البارع الذكي أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ـ عليه رحمات ربنا العلي ـ يقول: «قال العلماء: الحسد قسمان؛ حقيقي ومجازي فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة وإن كانت طاعة فهي مستحبة والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما»[(١)].

(١) «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٣٥٩) ط: دار الحديث.

ثامن عشر- القرآن سبيلك لمحبة الرحمن:

القرآن خبر عن الله وتوحيده وصفاته وإنعامه على عباده فمن قرأ القرآن بتدبر وفهم ازداد حبه لربه ومعرفته بجلاله وعظمته ورحمته وبره وفضله وجوده.

إن أفضل كتاب عقيدة وأعظم كتاب توحيد هو القرآن العظيم، فالقرآن هو كلام الله عن ذاته سبحانه وهو الحق في صفاته وأسمائه ونعمه وإحسانه إلى عباده وهل هناك أحدٌ أعلم بالله من الله؟! فمن أراد أن يملأ قلبه بحب ربه فليتدبر كلامه وليكثر من تلاوةا لقرآن بفهم ووعي، ولله در ابن القيم حينما نبه أن أول الأسباب الجالبة لمحبة الله سبحانه تدبر كلامه وتفهم معانيه فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحدها ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه يتفهم مراد صاحبه منه»(١).

فالقرآن سبيلنا لمعرفة صفات ربنا وعظيم إنعامه وبديع صنعه وجلال كبريائه قال سهل بن عبد الله: «لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه لأنه كلام الله وكلامه صفته وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه وكلام الله غير مخلوق ولا تبلغ إلى نهاية فهمه مفهوم محدثة مخلوقة»(٢).

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سرّه أن يحب الله ورسوله فلينظر في المصحف**»(٣).

---

(١) «تهذيب المدارج» ص[٥١٣] ط: المكتبة القيمة.

(٢) «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٩) ط: دار التراث بالقاهرة.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠٩) وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم [٢٩٩٨].

obeikandi.com

لذلك كان السلف يحرصون أشد الحرص على تعليم القرآن وتعلمه من قبل ذلك علمًا بأن خير الأمة من تعلم القرآن وعلمّه كما سيأتي بيان ذلك مفصَّلًا.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله فلينظر فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله».

فيا أيها الظمآن لمحبة ربك الرحمن هذا هو القرآن يغرس في قلبك الحب والإيمان، فهيا أنزل برد اليقين على قلبك بآياته، وأقم البرهان على حبك لربك بدوام تلاوته وتدبره والنظر فيه وتأمله والاستجابة والانقياد لأحكامه فعلى قدر حبك لربك يكون حبك لكلامه وانشغالك واهتمامك به وتعظيمك له.

فيا أيها الصادق في حب الله انشغل بالقرآن عن ترهات وسفاهات المجالس، انشغل بالقرآن عن كلمات الفارغين التافهين الذين غرقوا في مستنقع آسن من الغفلة والشهوات، انشغل بالقرآن عن مقالات الجرائد والمجلات التي تزيد قسوة قلبك وتدفعك إلى خسيس المطالب ودنيء الأهداف والمكاسب، انشغل بالقرآن عن كل ما سواه تجد بركة وسعادة تغمرك في هذه الحياة.

إن من علامة الخذلان أن يُصرف المرء ويصدف عن آيات الله، مهما قرأت وسمعت، فلن تجد مثل القرآن، فهو المعين الصافي، والحق المبين الوافي الذي يروي كل وارد، ويسعد كل قاصد، ومن بركات القرب منه والأنس به محبة الله ويا لها من كرامة!! نسأل الله من فضله ونسأله سبحانه أن يرزقنا حبه وحب من يحبه وحب عملٍ يقربنا إليه.

تاسع عشر. تلاوة القرآن أعظم الأذكار:

أجل وأعظم وأشرف ما يذكر الله به كلامه وإذا كان يقال كلام الملوك ملوك الكلام فيكف إذا كان الكلام كلام الملك العلام؟! جل جلاله وعظم جاهه!! تعالت عظمته وتقدست حكمته!!

obeikandi.com

إن من رحمة الله العظيم بعباده أن أتاح لهم تلاوة كتابه وتدبر آياته يقول الله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

فسهّل الله لفظه ويسّر معناه لمن أراد، ليتذكر الناس ويعتبر الخلق بآياته.

وقال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الكهف: ٢٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين**».

وقال رسول الله ﷺ: «**وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»(١).

نعم إن أعظم ما يذكر ربنا به الترنم بآياته وتدبرها ودوام تلاوتها وتذكرها وبقدر الشغف بالقرآن والإقبال عليه يزداد حب العبد لربه وخشيته له وتوكله عليه ويقينه فيه وصبره من أجله وحينئذٍ تشرق فيه قلبه معارف وعلوم وحقائق لا يمكن حصولها بغير القرآن.

يقول الشيخ أبو ذر القلموني حفظه الله: «وبقدر إقبال العبد على القرآن يكون إقبال الله تعالى عليه، وبقدر إعراض العبد عن القرآن يكون إعراض الله تعالى عنه، وإنما يكون عباد الله من درجات دار السلام في ضيافة الرحمن بقدر حظهم من القرآن.

قال خباب بن الأرت لرجل: تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إلى الله تعالى بشيء أحب إليه من كلامه.

---

(١) رواه الترمذي برقم [٢٦٢٦]، والدارمي [٣٣٥٦] وضعفه الألباني في «الضعيفة» برقم [١٣٣٥] وحسنه الحويني بشواهده كما في تحقيق «فضائل القرآن» ص[٢٧٤].

obeikandi.com

وقال عثمان: لو طهرت قلوبكم من شبعت من كلام ربكم.

وقال بعض السلف لأحد طلابه: أتحفظ القرآن؟ قال: لا. قال: واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن بم يتنعم؟! فبم يترنم؟ فبم يناجي ربه؟!».

عشرون ـ قارئ القرآن مع الملائكة الكرام:

ويا لها من معية كريمة عالية حينما يكون تالي القرآن شبيهًا بملائكة الله جل جلاله والذي هم في قنوت دائم وعبادة مستمرة.

في «الصحيحين» عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: «السفرة جمع سافر ككاتب وكتبه، والسافر الرسول والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات البر وهو الطاعة والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه.

قال القاضي: ويحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى.

قال: ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران: أجر القراءة وأجر تعتعته في تلاوته ومشقته.

قال القاضي: «وغيره من العلماء، وليس معناه الذي يتتعتع له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثرًا أجرًا لأنه من السفرة وله أجور كثيرة ولم يذكر

(١) رواه البخاري برقم [٤٩٣٧]، ومسلم برقم [٧٩٨].

هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه؟!»[(١)].

قلت: قارئ القرآن لا يعود من قراءته إلا بالخير والفضل والكرامة وهذا من بركة كتاب بالله تعالى، فكلما نظرت فيه انتفعت سواء كنت ماهرًا حاذقًا أم كنت في بداية تعلمك لتلاوته وليس بعد عطاء القرآن عطاء وليس بعد فضله وبركته فضل وبركة.

قال محمد بن واسع: «القرآن بستان العارفين فأينما حلوا حلوا منه في نزهة».

حادي وعشرون ـ الارتقاء في درجات الجنة بقدر ما معك من القرآن:

إن من كرامة الله لأهل القرآن أن صاحب القرآن لا يزال يترقي في درجات الجنة ويعلو على قدر ما معه من القرآن وحينئذٍ يتمنى المفرطون أن لو كانوا بذلوا من أعمارهم وأوقاتهم أغلاها وأعلاها ليصلوا إلى الدرجات بحفظهم وعلمهم وتدبرهم لآيات ربهم جل جلاله.

فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[(٢)].

قال المباركفوري رحمه الله: «قوله: «**يقال**» أي عند دخول الجنة «**لصاحب القرآن**» أي من يلازمه بالتلاوة والعمل «**وارق**» أمر من يرقى اي يصعد غلى درجات الجنة وفي رواية أبي داود «**اقرأ وارتق ورتل**» أي اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة «**كما كنت ترتل في الدنيا**» من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف «**فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**» قال المنذري في «الترغيب» قال الخطابي: جاء في أن عدد آي القرآن على قدر درجات الجنة في الآخرة فيقال للقارئ اقرأ في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن فمن

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٣٤٤).

(٢) رواه أبو داود برقم [١٤٦٤]، والترمذي برقم [٢٩١٤] وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٢٢٤٠].

استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة ومن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»[(١)].

وبعد،،،

فيا عباد الله هذا كتاب ربكم أصل عزكم ونبع مجدكم، لا عزة لنا إلا به فهيا تعلموه، تدبروه، رتلوه، علموه، لقنوا الأجيال عظمة القرآن، اغرسوا في نفوسهم توقيره وإجلاله، هيا لتمتلئ حياتنا سعادة وإشراقًا ونورًا بالقرآن، فما أشرفها من عبادة وما أبهاه من مشهد حينما يعكف المؤمن على كتاب ربه تاليًا متدبرًا! حافظًا متعلمًا عاملًا متفكرًا فهيا للقرآن رتل، ومنه فانهل، وبه فاعمل وبه تعبَّد لربك وتبتل.

رتل كتاب الله في سمع الورى ... واقرأه كي تحلو الحياة وتطهرا
رتل وبارك هذه الدنيا به ... واملأ به الآفاق مسكًا أذفرا
حبل الإله فلا تزغ عن نهجه ... واحذر فحق يا أخي ما تحذرا
فهو النجاة لمن أراد سلامة ... وهو الدليل لمن بدا متحيرًا
في ظله تسمو الحياة وترتقي ... وخريفها يغدو ربيعًا مزهرًا
فأعد علينا وعده ووعيده ... متدبرًا فالخير أن تتدبرا
واسلك به درب الكرامة والعلا ... وادحر بنور الحق إفكًا مفترى
نورٌ تألق في الوجود وزانه ... من يوم أن شرقت به أم القرى
من يوم أن سمع النبي تحية ... ألقى بها ملك كريم في حرا
غارٌ تحمم بالضياء وحقه ... في أن يتيه على البقاع ويفخرا
اقرأ ولست بقارئ وبرهبة ... أدل بها خير البرية مخبرًا
اقرأ وربك أكرم ومعلم ... وبحكمة خلق الوجود وصوّرا
أنذرهم الشرك البغيض جميعه ... وليعبدوا ربًا أجل وأكبرا

(١) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (٧/ ٣٨٧) ط: التوفيقية.

obeikandi.com

بشرهم فوزًا عظيمًا إن همُ لزموا الحدود ولم يشيعوا المنكرا
هو منهج سعدت به كل الدنا لبست به الصحراء ثوبًا أخضرا

❁❁❁

رتل رعاك الله واسعد بالتقى إن التقي هو السعيد كما ترى
يحيا كريمًا مطمئنًا قلبه ويهبُ من جوف الثرى مستبشرًا
واستعل بالإيمان نهجًا سامقًا يبلغ بك الإيمان هامات الذرا
زلزل به ملك البغاة وما بنوا لا خير في ملك طغى وتجبرا
واحمل لكل المؤمنين مودة والزم فدين الله من أقوى العُرى
وابرأ من الكفار أو من حبهم فإلهنا من حبهم قد حذرا
شتان بين موحِّد لإلهه يرجو النجاة وبين من عبد الثرى
شتان بين مطبق لحدوده ومضيع تلك الحدود محقرا
يحيا التقاة الصالحون أعزة وأخو الهوى يحيا ذليلًا أحقرا

❁❁❁

رتل وأيقظ بالزواجر أمة هانت وفي أهدابها حط الكرى
رتل وأخلص للمهيمن نية واعلم بأن الله يبلو المخبرا
فلربما عمل قليل خالصٌ أضحى بإخلاص النوايا أكثرا
ولربما عمل كبير شابه حب الرياء غدا هزيلًا أصغرا
ما أجمل القاري تفطر قلبه والدمع منه على الخدود تحدّرا
فاتل الكتاب برقة متأنيًا ليس المهم بأن تعد الأسطرا
إنا نؤمل أن تكون مجودًا وكذا نريدك للمعالى منبرًا
إنا نريدك حافظًا آياته وكذا نريدك فاهمًا مستبصرًا

❁❁❁

obeikandl.com

أيها الإخوة، نريد عودًا حميدًا إلى كتاب ربنا، ننوّر به قلوبنا وبيوتنا، ونسحق به شياطيننا وأعداءنا، فهيا أخي قلبك وأحي قليك بدوام التلاوة، طهّر نفسك بروعة الترتيل، أقبل بحب، بكل حب على كلام ربك فسوف تجد ذاك النعيم الذي تطلبه في هذه الحياة، سوف تجد الطمأنينة واليقين والثبات والسمو.

هيا إلى القرآن لتسعد، هيا إلى القرآن لترشد، وإن كل من دعاك إلى غير القرآن فقد أضلك وأضرك، وخدعك وغرك، فأقبل وكن من الصادقين المؤمنين، أقبل وتقرب إلى ربك يتقرب إليك واستعن به يعنك، وتوكل عليه يكفك، واستهده يهدك، وسله يعطك، ومن هنا نبدأ وفي الجنة نلتقي إن شاء الله.

obeikandl.com